مركز المشير للاستشارات التعليمية و التربوية

منهج
القرآن الكريم
في معالجة الغلو

كتبه : د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

ح أحمد بن عبدالرحمن القاضي ، ١٤٣١ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القاضي ، أحمد عبدالرحمن
منهج القرآن الكريم في معالجة الغلو. / أحمد عبدالرحمن
القاضي .- عنيزة ، ١٤٣١هـ
..ص ؛ ..سم
ردمك : ٩٧٨_٦٠٣_٠٠_٤٧٥٩_٨

١- الغلو في الدين ٢- الوسطية في الإسلام أ. العنوان
ديوي ٢١١ ٢٧٣٧/١٤٣١
رقم الإيداع : ٢٧٣٧/١٤٣١
ردمك : ٩٧٨_٦٠٣_٠٠_٤٧٥٩_٨

منهج
القرآن الكريم
في معالجة الغلو

كتبه :
د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

مركز المشير للاستشارات التعليمية و التربوية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القائل : (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ)(١) ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي وصف القرءان أجمل وصف ، فقال : (كتاب الله ، تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى بغيره أضله الله . هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم . وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلَق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه . وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرآناً عجباً . من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم)رواه الترمذي(٢) ... أما بعد :

فإن دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم ، وسط بين طرفين ، وعدل بين عِوَجين ، وهدى بين ضلالتين ؛ بين إفراطٍ وتفريط ، وغلو وتساهل . وقد حفظ الله لهذه الأمة خاصية (الوسطية) في كتابه الكريم ، والتزمها أهل السنة والجماعة ، فهماً وتطبيقاً ، على مر القرون . فكلما دقَّت دافَّة ، أو نزلت نازلة ، فزعوا إلى الأصل العظيم ، ووردوا المورد الكريم ، فصدروا بشفاء الصدور ، واتضاح الأمور . (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (٧) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ (٨))(٣) .

---

(١) الإسراء : ٩ .
(٢) جامع الترمذي : رقم (٢٩٠٦) .
(٣) آل عمران : ٧ ، ٨ .

وقد ظهر (الغلو) فيمن كان قبلنا من الأمم ، وظهر في هذه الأمة أيضاً ، مصداقاً لقول نبينا صلى الله عليه وسلم : (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من قبلكم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه . قلنا : يا رسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟!)متفق عليه(١) .

وقد أودع الله تعالى كتابه الكريم الشفاء من كل داء ، والنور والضياء لكل ظلماء ، والمخرج من كل فتنة عمياء . ومن ذلك داء (الغلو) وظلمائه ، وفتنته . وسنسعى من خلال هذا البحث إلى استنباط المنهج القرءاني ، خاصة ، في مواجهة الغلو ، وإلا ، فإن في السنة النبوية ، شواهد كثيرة ، وتطبيقات عملية ، لكبح جماح هذا الانحراف الذي يطلع قرناً بعد قرن ، على الأمة الإسلامية .

حقيقة الغلو :

أ – الغلو لغةً :

قال الجوهري : (غلا في الأمر ، يغلو غُلُوًّا ، أي : جاوز فيه الحد)(٢) . وقال ابن منظور : (وأصل الغلاء : الارتفاع ، ومجاوزة القدْر في كل شيء)(٣) . وكذا قال ابن فارس : (الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح في الأمر ، يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر . يقال : غلا السعر يغلو غلاءً ، وذلك ارتفاعه . وغلا الرجل في الأمر غلواً ، إذا جاوز حده . وغلا بسهمه غلْواً ، إذا رمى به سهماً أقصى غايته)(٤) .

ب – الغلو شرعاً :

قال ابن الأثير : (الغلو في الدين : أي التشدد فيه ، ومجاوزة الحد ، وقيل معناه : البحث عن بواطن الأشياء ، والكشف عن عللها ، وغوامض متعبداتها)(١) .

---

(١) صحيح البخاري : رقم (٧٣٢٠) ، صحيح مسلم : رقم (٦٧٨١) .
(٢) الصحاح : ٦/٢٤٤٨ .
(٣) لسان العرب : ١٠/١١٢ .
(٤) معجم مقاييس اللغة : ٧٧٣ .

وقال ابن حجر : (الغلو : هو المبالغة في الشيء ، والتشديد فيه بتجاوز الحد ، وفيه معنى التعمق)(٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (الغلو : مجاوزة الحد ن بأن يزاد في الشيء ، في حمده ، أو ذمه على ما يستحق)(٣) .

ومن شواهد ذلك :

(يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ)(٤) ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (يا أيها الناس : إياكم والغلو في الدين ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)رواه أحمد والحاكم(٥) ، وحديث : (لا تغالوا في الكفن ، فإنه يُسلبه سلباً سريعاً)رواه أبو داود(٦) ، ومنه قول عمر ، رضي الله عنه : (ألا لا تغالوا بصُدُق النساء)رواه أبو داود(٧) .

وبهذا يتبين اتفاق المعنيين ، اللغوي ، والاصطلاحي ، على تعريف الغلو ، وأنه بمعنى تجاوز الحد ، والزيادة المذمومة في كل شيء ، ولو بالتعمق والتكلف . وهو بهذا الاعتبار ضرب من البدعة ، لخروجه عن رسم الشرع من جهة الزيادة والمبالغة ، ولا يشفع له كونه صادراً عن اجتهاد وحسن نية ، فإن اقتصاداً في اتباع ، خير من اجتهاد في ابتداع .

ويقارب مفهوم (الغلو) ويشاركه من بعض الوجوه ، مفردات ذات مدلولات شرعية ، أو مدلولات اصطلاحية ، من جنس : (التنطع) ، و (التشدد) ، و (الإفراط) ، و (الطغيان) ، و (العتو) ، و (التطرف) ، يجمعها معنى المبالغة ، وتجاوز الحد الأوسط .

---

(١) النهاية في غريب الحديث : ٣/٣٨٢ .
(٢) فتح الباري : ١٣/٢٧٨ .
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم : ١/٢٨٩ .
(٤) النساء : ١٧١ .
(٥) المسند : (٣٢٤٨) والمستدرك : ١/٤٦٦ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .
(٦) سنن أبي داود : رقم (٣١٥٤) .
(٧) سنن أبي داود : رقم (٢١٠٦) .

منهج القرءان الكريم في معالجة الغلو :

تنوعت طرائق القرءان الكريم في إدانة ظاهرة الغلو ، والتحذير منه . ولا ريب أن هذا التنوع يفضي إلى تتبع جذور هذا الانحراف ، واستئصالها ، ويلقي في روع المؤمن حساً إيمانياً واعياً بالنفرة من هذا المسلك الوبيء . ومن هذه الطرق :

أولاً : النهي المباشر عن الغلو :

قال تعالى : (يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (١٧١))(١) . قال الطبري ، رحمه الله : (يعني جل ثناؤه بقوله : " يا أهل الكتاب " : يا أهل الإنجيل من النصارى " لا تغلوا في دينكم " يقول : لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه ، ولا تقولوا في عيسى غير الحق ؛ فإن قيلكم في عيسى إنه ابن الله ، قول منكم على الله غير الحق ، لأن الله لم يتخذ ولداً ، فيكون عيسى أو غيره من خلقه له ابناً ، ثم ساق بسنده عن الربيع ، قال : صاروا فريقين : فريق غلوا في الدين ، فكان غلوهم فيه الشك فيه ، والرغبة عنه ، وفريق منهم قصروا عنه ، ففسقوا عن أمر ربهم)(٢) .

وقال تعالى : (قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ (٧٧))(٣) . قال ابن كثير ، رحمه الله : (أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه ، فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية ، كما صنعتم في المسيح ، وهو نبي من الأنبياء ، فجعلتموه إلهاً من دون الله ! وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم ؛ شيوخ الضلال ، الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً ، " وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل " : أي وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال ، إلى طريق الغواية والضلال)(١) .

---

(١) النساء : ١٧١ .
(٢) تفسير الطبري : ٦/٣٤ ، ٣٥ .
(٣) المائدة : ٧٧ .

وهذا اللون من الغلو الاعتقادي ، هو أخطر أنواع الغلو ، وأشدها أثراً . وقد وقع فيه اليهود والنصارى ، فكان لا بد من النص المباشر في التحذير منه ، ووصمه بما يستحق من وصمة (الغلو) ، حتى لا يلتبس الأمر على هذه الأمة . وحقق ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (لا تطروني كما أطرت النصارى بن مريم ؛ فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله)رواه البخاري(٢) .

ورغم هذا التحذير القرءاني والنبوي الصريح ، فقد استزل الشيطان بعض هذه الأمة ، فوقعوا في دعاء غير الله ، من الأولياء ، والمقبورين ، وغالوا في المدائح النبوية ، ووصفوا النبي صلى الله عليه وسلم بما لا ينبغي إلا لله ، حتى قال أحدهم :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن يوم معادي آخذاً بيدي   عفواً ، وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم

كما وجد في تاريخ المسلمين من يؤله علياً ، رضي الله عنه ، ويؤله بعض ذريته ، من قبل بعض الفرق الباطنية ، وإن كان قليلاً ، ولكنها السنن .

ثانياً : ذم الغلو ، وبيان سوء عاقبة الغلاة :

لعل أول من نعلمه من الغلاة ، إبليس ! كيف لا ؟ ، وآفته الكِبْر ، والكِبرُ نوع من مجاوزة الحد ، قال تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٣٤))(٣) ، فاستحق بذلك أعظم مذمة في التاريخ ، كما قال تعالى : (قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ (٧٨))(١) .

---

(١) تفسير ابن كثير : ٢/٨٣ .
(٢) صحيح البخاري : رقم (٣٤٤٥) .
(٣) البقرة : ٣٤ .

وكان من الغلاة الذين تجاوزوا حدهم وقدرهم ، فرعون ، حين قال لموسى : (وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٣)) ؛ ثم قال : (لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ (٢٩))(٢) ، وقال لعموم قومه : (أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ (٢٤))(٣) ، وقال متظاهراً بالاجتهاد والتحري : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٣٨))(٤) ، ثم استخفه الأشر والبطر ، بفعل الغلواء : (وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (٥٤))(٥) ، فماذا كانت النتيجة ؟ ..

قال تعالى : (فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ (٥٦))(٦) ، وقال : (فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ (٢٥))(٧) . ومن غلا ، فاستحق المذمة والعقوبة ، اليهود والنصارى ، قال تعالى : (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١))(٨) .

---

(١) ص : ٧٧ ، ٧٨ .
(٢) الشعراء : ٢٣ ، ٢٩ .
(٣) النازعات : ٢٤ .
(٤) القصص : ٣٨ .
(٥) الزخرف : ٥١ – ٥٤ .
(٦) الزخرف : ٥٥ – ٥٦ .
(٧) النازعات : ٢٥ .
(٨) التوبة : ٣٠ – ٣١ .

وكما أن الغلو في الاعتقاد مذموم ، فكذلك الغلو في العبادة ، قال تعالى : (وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (٢٧))(١) .

هذا ، وإن في التاريخ ، والواقع ، لعبرة لأولي الألباب ، فلا يكاد يعرف طائفة دب فيها الغلو ، بجميع صوره ، إلا وكان أمرهم في سفال ، وعاد عليهم بالوبال : فالخوارج الأولون لم يظفروا بمطلوب ، ولم يسلموا من سوء العاقبة ، فهم شر قتلى تحت أديم السماء ، فوق ما توعدهم به النبي صلى الله عليه وسلم من العذاب الأُخْرَوِيِّ ، فهم كلاب النار ، والعياذ بالله .

وغلاة الصوفية والباطنية ، باتوا سُبَّةً لأهل الإسلام ، ينعون عليهم مذاهبهم ، ويتبرؤون من طريقتهم .

ومتعصبة المذاهب الفقهية ، الذين يقول قائلهم : (كل نص خالف ما قاله الأصحاب ، فهو إما منسوخ أو مؤول) !! ؛ عادوا بالملامة والتقريع .

بل إن المذاهب الأرضية الغالية ، كالشيوعية ، أبت سنة الله في خلقه أن تدوم ، فإذا بها تنهار ، ولما تُتم قرناً من الزمان ، مع أنها كانت محاطة بالحديد والنار ، في حين أن الأنظمة الأرضية الأخرى ، التي لم تسلك مسلك الغلو ، أتيح لها أن تعمر أكثر منها .

ثالثاً : الثناء على أهل التواضع والإنصاف :

إن نزعة (الغلو) نابعة عن أخلاط من الأخلاق الذميمة ، كالكبر ، والعنف ، والعجلة ، والغضب . وهذه سمات مشتركة بين الغلاة على مر العصور . وبإزاء ذلك ، فإن أهل الاستقامة والعدل والتوسط ، يتميزون بجملة من الأخلاق النوعية الكريمة ؛ من جنس : التواضع ، والرفق ، والأناة ، والحلم . ومن ثمَّ ، فإن من أقوى أسباب علاج الغلو ، الثناء على أصحاب النفوس السوية من المتواضعين للحق ، القابلين له ، المذعنين للدليل ، الفرحين به . وقد حفل القرءان الكريم بصور مشرقة من هذه النماذج الإنسانية المتحررة من ربقة التعصب ، وأسر الغلو . ومن شواهد ذلك قوله تعالى : (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٤) فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٥))(١) .

---

(١) الحديد : ٢٧ .

ومثلهم من مؤمني أهل الكتاب من أثنى الله عليهم بقوله :

(وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ (٥٥))(٢) .

إن إشاعة روح التجرد للحق ، ونشدان الصواب ، والانعتاق من قيود العادة ، والإلف ، وسنن الآباء والأجداد ، والتعصب الأعمى ، وأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى الناس بها ، سيتحقق تلقائياً من خلال تمجيد هذه النماذج البشرية الراقية ، وإبراز قيمها ، لتكون مثالاً يحتذى ، يعصم السالك من الانزلاق في مهاوي الغلو والتطرف .

رابعاً : مطامنة الغلو بالحوار المناظرة :

لما كان للغلو فوعة تحجب صاحبه عن الحق ، فتجعل على عينيه غشاوة ، وفي أذنيه وقراً ، وعلى قلبه أكنة ، كان لابد من اختراق صارم لتلك الحجب . وإن أقوى سبب تدحض به الشبهة ، الحجة الصحيحة ، كما قال تعالى : (بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨))(٣) ، فما يغني في مواجهة الغلو الصخب والضجيج ، بل لابد من مقارعة الحجة بالحجة ، واستفراغ ما لدى الخصم المعجب برأيه من دعاوى ، وتفنيدها ، ليطامن من غلوائه ، ويعود إلى رشده ، إن أراد الله به خيراً ، وأما : (وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا)(١) .

---

(١) المائدة : ٨٢ – ٨٥ .
(٢) القصص : ٥١ – ٥٥ .
(٣) الأنبياء : ١٨ .

ومن أجمل الشواهد القرءانية على هذا الحوار المفحم ، مناظرة إبراهيم ، عليه السلام ، للنمرود . قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٥٨))(٢) .

ومن الأمثلة الحوارية الفاضحة لحقيقة الغلو ، وضحالة غوره ، وانكشاف أمره ، حوار موسى ، عليه السلام ، مع فرعون . قال تعالى : (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ (٢٩))(٣) .

هذا ، وما من مبطل ، إلا ويستند إلى دعوى ، ويرتفق بدليل ، فإذا قيض الله له عالماً راسخاً ، وحكيماً بارعاً ، يعالج غلواءه ، ويكشف زيف استدلاله ، بالحوار الحر ، أثمر الثمار اليانعة ، وعاد بالخير والبركة والنجاة على من الْتاث بلوثة الغلو ، فتداركه نعمة من ربه ، كما يتضح من هذا المثال التاريخي البديع :

عن ابن عباس قال : (لما اعتزلت الحرورية ، وكانوا على حدتهم ، قلت لعلي : يا أمير المؤمنين ، أبرد عن الصلاة ، لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم . قال : إني أتخوفهم عليك . قلت : كلا ، إن شاء الله . فلبست أحسن ما قدرت عليه من هذه اليمانية ، ثم دخلت عليهم ، وهم قائلون في نحر الظهيرة . فدخلت على قوم لم أر قوما أشد اجتهادا منهم ؛ أيديهم كأنها ثفِنُ الابل ، ووجوهم معلمة من آثار السجود . فدخلت ، فقالوا : مرحبا بك يا ابن عباس ، لا تحدثوه . قال بعضهم : لنحدثنَّه . قال : قلت : أخبروني ، ما تنقمون على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وختنه ، وأول من آمن به ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ؟ .

---

(١) المائدة : ٤١ .
(٢) البقرة : ٢٥٨ .
(٣) الشعراء : ٢٣ – ٢٩ .

قالوا : ننقم عليه ثلاثا .

قلت : ما هن ؟ .

قالوا : أولهن ، أنه حكم الرجال في دين الله ، وقد قال الله تعالى : " إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ "(١) .

قلت : وماذا ؟ .

قالوا : قاتل ، ولم يسب ، ولم يغنم ! لئن كانوا كفارا لقد حلت أموالهم ، وإن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم .

قال : قلت : وماذا ؟

قالوا : ومحا نفسه من أمير المؤمنين .

قال : قلت : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم ، وحدثتكم من سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ما لا تنكرون ، أترجعون ؟ .

قالوا : نعم .

قال : قلت : أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله ، فانه تعالى يقول : " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ " إلى قوله : " يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ "(٢) ، وقال في المرأة وزوجها : " وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ "(٣) ، أنشدكم الله ! أفحكم الرجال في دمائهم وأنفسهم ، وصلاح ذات البين ، أحق ، أم في أرنب ثمنها ربع درهم ؟ .

---

(١) يوسف : ٤٠ .
(٢) المائدة : ٩٥ .
(٣) النساء : ٣٥ .

قالوا : اللهم في حقن دمائهم ، وصلاح ذات بينهم .

قال : أخرجت من هذه ؟ .

قالوا : نعم .

قال : وأما قولكم إنه قتل ولم يسب ، ولم يغنم ، أتسبون أمكم ؟! أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها ؟! فقد كفرتم . وإن زعمتم أنها ليست بأمكم ، فقد كفرتم ، وخرجتم من الإسلام ؛ إن الله تبارك وتعالى يقول : " ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ "(١) ، وأنتم تترددون بين ضلالتين ، فاختاروا أيهما شئتم . أخرجت من هذه ؟ .

قالوا : اللهم نعم .

قال : وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قريشاً ، يوم الحديبية ، على أن يكتب بينه وبينهم كتاباً ، فقال : اكتب : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبد الله . فقال : والله إني لرسول الله ، وإن كذبتموني . اكتب يا علي : محمد بن عبد الله . فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفضل من علي . أخرجت من هذه ؟ .

قالوا : اللهم نعم .

فرجع منهم عشرون ألفاً ، وبقي منهم أربعة آلاف ، فقتلوا)رواه عبد الرزاق ، والطبراني ، وروى أحمد بعضه(٢) .

وفي هذه القصة من العبر والفوائد :

١ – فضل العلماء الربانيين الراسخين ، وعظيم أثرهم على الأمة .

---

(١) الأحزاب : ٦ .
(٢) مصنف عبد الرزاق : (١٠/١٥٨) ، والمعجم الكبير : (١٠/٢٥٧) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد عن رواية الطبراني وأحمد : رجالهما رجال الصحيح . (٦/٢٣٩) .

٢ – تجنب الغلاة للحوار ، والبحث عن الحق : (لا تحدثوه) .
٣ – وجود أفراد مغرر بهم ، يبحثون عن الحقيقة : (لنحدثنه) .
٤ – استناد المبتدعة إلى استدلالات نصية وعقلية ، يشبهون بها .
٥ – فائدة الحوار المؤسس على العلم والحكمة .
٦ – إصرار بعض أهل البدع على باطلهم ، بعد تبين الرشد من الغي .

خامساً : التيسير ورفع الحرج :

إن من أساليب القرءان الكريم في دفع الغلو ، أو رفعه ، التنويه بيسر الشريعة ، والامتنان برفع الحرج عن العباد . والعسر والحرج قرينا الغلو ، فكيف يستقيم دين امرئ على الإسلام ، وهو آخذ نفسه بالعنت والمشقة ؟! .

قال تعالى : (يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ)(١) ، قال السعدي ، رحمه الله : (أي يريد الله أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير ، ويسهلها أبلغ تسهيل . ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله ، وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله ، سهله تسهيلاً آخر ؛ إما بإسقاطه ، أو بتخفيفه بأنواع التخفيفات)(٢) .

وقال تعالى : (يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا (٢٨))(٣) ، قال ابن كثير : (أي في شرائعه وأوامره ونواهيه وما يقدره لكم)(٤) .

وقال تعالى : (مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦))(٥) ، فالحرج مرفوع ، بحمد الله ، عن هذه الأمة ، والنعمة تامة . واليسر أقرب إلى روح الشريعة ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (إن خير دينكم أيسره . إن خير دينكم أيسره)رواه أحمد(٦) .

---

(١) البقرة : ١٨٥ .
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ١/١٣٧ .
(٣) النساء : ٢٨ .
(٤) تفسير ابن كثير : ١/٤٨٠ .
(٥) المائدة : ٦ .
(٦) المسند : رقم (١٥٩٧٨) ، وقال في مجمع الزوائد : (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح خلا رجاء وقد وثقه ابن حبان) ٣/٣٠٨ .

وحين بعث أبا موسى الأشعري ، ومعاذ بن جبل ، رضي الله عنهما ، إلى اليمن ، أوصاهما ، قائلاً : (يسرا ، ولا تعسرا ، وبشرا ، ولا تنفرا ، وتطاوعا)متفق عليه(١) .

سادساً : الأمر بالوسطية ، والثناء على أهلها :

من الخصائص المميزة لدين الإسلام خاصية (الوسطية) ، فقد قال تعالى : (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)(٢) .

وقد جاء لفظ (الوسَط) في لغة العرب على معانٍ ، منها : العدالة ، والخيرية ، والتوسط بين الطرفين . وإلى هذا المعنى الثالث مال ابن جرير ، رحمه الله ، فقال : (وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين ، مثل وسَط الدار ... وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط ، لتوسطهم في الدين ، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى ، الذين غلوا بالترهب ، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه ، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود ، الذين بدلوا كتاب الله ، وقتلوا أنبياءهم ، وكذبوا على ربهم ، وكفروا به . ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه . فوصفهم الله بذلك ، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها)(٣) .

والحق أن هذه الأمة قد جمعت هذه الأوصاف الثلاثة كلها ؛ فهي أعدل الأمم شهادة ، وخير أمة أخرجت للناس ، وهي متوسطة بين أهل الإفراط وأهل التفريط من الأمم . ومن عجبٍ ، أيضاً ، أن موقعها الجغرافي ، الذي انطلقت منه ، وإليه تأرز ، وسَطٌ بين قارات الدنيا ، وملتقى طرقها .

وكما أن هذه الأمة الإسلامية وسط بين الأمم ، فإن أهل السنة والجماعة ، المتمسكون بالإسلام المحض ، الخالص عن الشوب ، هم الوسَط في فرق الأمة . ومن شواهد هذا التوسط المنافي للإفراط والتفريط ، والغلو والتساهل ، ما يلي :

---

(١) صحيح البخاري : رقم (٣٠٣٨) ، صحيح مسلم : رقم (٤٥٢٦) .
(٢) البقرة : ١٤٣ .
(٣) تفسير الطبري : ٢/٦ .

١– التوسط في الاعتقاد : قال شيخ الإسلام ، ابن تيمية ، في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة : (هم الوسط في فرقة الأمة ، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم ؛ فهم وسط في :

- باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية ، وأهل التمثيل المشبهة ،
- وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية ، والقدرية وغيرهم ،
- وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم ،
- وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة ، وبين المرجئة والجهمية ،
- وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرافضة ، والخوارج)(١) .

٢– التوسط في العبادة : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؛ يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم . فلما أخبروا ، كأنهم تقالُّوها . فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ! قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني)رواه البخاري(٢) .

٣– التوسط في السلوك : كما يكون التوسط في الاعتقاد والعبادة ، يظهر أيضاً في السلوك ، وسائر التصرفات . ومن أمثلة ذلك :

أ – المشْيَة : قال تعالى : (وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ)(٣) . قال ابن كثير : (أي امش مقتصداً ؛ مشياً ليس بالبطيء المتثبط ، ولا بالسريع المفرط ، بل عدلاً وسطاً بين بين)(١) .

---

(١) العقيدة الواسطية : ٨٢ .
(٢) صحيح البخاري : رقم (٥٠٦٣) .
(٣) لقمان : ١٩ .

ب – الصوت : قال تعالى : (وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ)(٢) ، قال ابن كثير : (أي لا تبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه . ولهذا قال : " إن أنكر الأصوات لصوت الحمير " قال مجاهد وغير واحد : إن أقبح الأصوات لصوت الحمير ؛ أي غاية من رفَع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه ، ومع هذا هو بغيض إلى الله)(٣) .

ج – المعاملة : قال تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ)(٤) .

د – العشرة والمخالطة : عن أبي جحيفة ، رضي الله عنه ، قال : (آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان وبين أبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذلة ، فقال : ما شأنك متبذلة ؟ قالت : إن أخاك أبا الدرداء ليس له حاجة في الدنيا . قال : فلما جاء أبو الدرداء قرب إليه طعاما ، فقال : كل ، فإني صائم . قال : ما أنا بآكل حتى تأكل . قال : فأكل . فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم ، فقال له سلمان : نم ! فنام ، ثم ذهب يقوم ، فقال له : نم ! فنام . فلما كان عند الصبح قال له سلمان : قم الآن ! فقاما ، فصليا ، فقال : إن لنفسك عليك حقا ، ولربك عليك حقا ، ولضيفك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه . فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكرا ذلك ، فقال له : صدق سلمان)رواه الترمذي(٥) .

٤– التوسط في الإنفاق : قال تعالى : (وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٧))(٦) . قال الحافظ ابن كثير ، رحمه الله : (أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم ؛ فيصرفون فوق الحاجة ، ولا بخلاء على أهليتهم ؛ فيقصرون في حقهم ؛ فلا يكفونهم ، بل عدلاً خياراً ، وخير الأمور أوسطها)(١) .

---

(١) تفسير ابن كثير : ٣/٤٤٧ .
(٢) لقمان : ١٩ .
(٣) تفسير القرءان العظيم : ٣/٤٤٧ .
(٤) آل عمران : ١٥٩ .
(٥) جامع الترمذي : رقم (٢٤١٣) . قال أبو عيسى هذا حديث صحيح .
(٦) الفرقان : ٦٧ .

٥– التوسط في التقويم والحكم على الآخرين : قال تعالى : (۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥))(٢) . وقال : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨))(٣) .

فدلت هذه النصوص على وجوب تحري العدل ، وتوخي الإنصاف في الأمور كلها ، ومن ذلك الحكم على الناس ، وتقويمهم ، وعدم غمط أهل الفضل فضلهم ، والبعد عن التجني والعدوان ، والاندفاع مع العاطفة الهوجاء ، حتى مع المخالف .

٦– التوسط في العواطف والمشاعر : ومن جوانب التوسط المهمة ، أن يكون المرء معتدلاً في مشاعره ، وعواطفه ، وانفعالاته ، فلا يسرف إذا أحب ، ولا يسرف إذا أبغض ، ولا يفجر إذا خاصم ؛ بل يحكم مشاعره بحكم الشريعة ، ويضبطها بضابط العقل ، فعن علي رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (أحبب حبيبك هونا ما ، عسى أن يكون بغيضك يوما ما . وأبغض بغيضك هونا ما ، عسى أن يكون حبيبك يوما ما)رواه الضياء المقدسي(٤) .

مفاهيم باطلة حول مفهوم الغلو :

إن من نافلة القول أن المعيار الدقيق ، والقسطاس المستقيم ، في تحديد (الوسطية) و (الغلو) و (التقصير) النص والدليل ، لا الأمزجة الشخصية ، ولا العرف الاجتماعي ، ولا الاعتبارات الآنية . فليس لأحد ، سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن ينصب نفسه في مركز الوسط ، ويرى القاصر عنه مفرِّطاً ، والمتجاوز غالياً ؛ فإن خير الكلام كلام الله عز وجل ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة . من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله ، فإنه لا يضر إلا نفسه ، ولن يضر الله شيئاً .

---

(١) تفسير ابن كثير : ٣/٣٢٦ .
(٢) النساء : ١٣٥ .
(٣) المائدة : ٨ .
(٤) الأحاديث المختارة : ٢/٥٥ ، و إسناده لا بأس به .

وتأسيساً على ما مضى ، فربما أدخل بعض الناس في الغلو ما ليس منه ، وربما أخرجوا منه ما هو من أعظمه وأشده ، بسبب الجهل بالشرع ، أو بسبب الإلف والعادة . فالتزام السنة النبوية في المأكل ، والمشرب ، والملبس ، والهيئة ، وسائر السلوك ، ليس من الغلو في شيء ، بل هو عين التوسط . ولا يحل نبز الملتزمين بالسنة بألقاب السوء ، كالتزمت ، والتطرف ، والأصولية ، والغلو ، ونحوها . كما أن ما ألفه بعض عوام المسلمين من دعاء غير الله ، والمبالغة في مدح الصالحين ، وتقديس الذوات ، عين الغلو ، الذي نهى الله عنه أهل الكتاب ، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه أمته .

إن دين الله تعالى بريء من كل ما ألصق به من دعاوى الغلو ؛ سواءٌ كان غلواً عقدياً كتكفير المسلمين ، واستحلال دمائهم وأموالهم ، والخروج على أئمتهم ، أو كان غلواً عملياً بابتداع أقوال ، وأوضاع ، وأحوال محدثة ، لم يأت بها الشرع . وبذلك يتبين خطأ بعض الكُتَّاب في التعبير ، حين يطلقون مصطلح (الغلو الديني) ؛ فإن هذه النسبة تضفي على الغلو نوع صبغة دينية ، والدين منه براء . لكن قد يقع الغلو في التدين نفسه ، الذي هو فعل العبد ، لا دين الرب ، ولذا عبر الشارع الحكيم على نحو آخر ، فقال الله تعالى : (يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إياكم والغلو في الدين) ؛ كما تقدم . فنهى أن يتخذ الدين ظرفاً للغلو ، ولم ينسبه إليه .

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئ الأعمال والأخلاق ، لا يصرف سيئها إلا أنت .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،

كتبه : د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

……

والحمد لله رب العالمين

مركز المشير للاستشارات التعليمية و التربوية

ترخيص وزارة التجارة والصناعة رقم ١٠١ بتاريخ ١٤٢٧/٣/٢٥ هـ
هاتف : ٠٦٣٦٥٧٣٣٢ ، ناسوخ : ٠٦٣٦٥٧٣٣١ ، عنيزة ص.ب : ٢٤٦ ، الرمز : ٥١٩١١
جوال : ٠٥٠٥١٣٢٤٦٨ ، البريد الإلكتروني : al-musheer@al-musheer.com